Anwar al-Sirah: International Research Journal for the Study of the Prophet Muhammad (PBUH)'s Biography
ISSN: 3006-7766 (online)and 3006-7758 (print)
Open Access: https://journals.iub.edu.pk/index.php/anwaralsirah/index
Published by: Seerat Chair, The Islamia University of Bahawalpur, Pakistan

الإعلام في عهد النبي ﷺ:الشعروالنثروالهجووالمدح

Media in the Era of the Prophet ﷺ: Poetry, Prose, Satire, and Praise

Dr. Yousaf Tahir
Professor, Sudan University, Sudan
Email: yousaf.tahir98@gmail.com

Abstract

The media is one of the basic pillars upon which the Prophet ﷺ relied to deliver his divine message to all the people of the earth, and thus its importance will remain throughout time until the Allah inherits the earth and all that is on it. God Almighty said: And indeed We have conveyed to them the word that perhaps they will remember. The Prophet ﷺ did not leave a means to convey the call to Islam, and he hastened with it. Therefore, we find that the Islamic nation today is in need of specialized Islamic media for all branches and sciences of Sharia, as it is the mother of supplication, communication, and information for the path to heaven. The Prophet ﷺ used private and personal contact with his family and close friends at the beginning of his preaching journey in order to ensure a strong and solid foundation. Al-Bukhari narrated on the authority of Ibn Abbas (R.A) that he said when it was revealed: And warn your closest relatives. The Prophet ﷺ ascended Safa, a famous mountain in Makkah, and started calling: O Banu Fihr! O son of Adi! To the bellies of Quraysh until they gathered together, so if the man was unable to get out, he sent a messenger to see what it was, so Abu Lahab and Quraysh came and said: What if I told you that horses in the valley wanted to attack you, would you believe me? They said: Yes, we have never tried to tell you anything but truthfulness. He said: I am a warner to you before a severe torment. Abu Lahab said: I will afflict you for the rest of the day. Is this what you brought us together? So it was revealed: Abu Lahab's hand will perish, and his wealth and what he has earned will repent

Keywords: Islamic Media, Prophet Muhammad, Divine Message, Communication, Sharia, Supplication, Information, Preaching Journey, Revelation

التعارف:

الإعلام من الركائز الأساسية التي اعتمد عليها النبي ﷺ لتوصيل رسالته الربانية لكافة أهل الأرض، وهكذا ستظل أهميته باقية عبر الأزمنة إلى أن يرث الله الأرض وما عليها۔ قال تعالى: " وَ لَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُوْنَ"(١)۔ فالنبي ﷺ لم يترك وسيلة لتوصيل الدعوة الإسلام وسارع بها۔ لذلک نجد أن الأمة الإسلامية اليوم بحاجة إلى إعلام إسلامي متخصص لكل فروع وعلوم الشريعة، حيث أنها أمة دعوة وبلاغ وإعلام لمنهج السماء۔ لقد استخدم ﷺ الأتصال الانفرادي والشخصي مع أهل بيته وأصدقائه المقربين في بداية مسيرته الدعوية وذلک حتى يضمن أساساً قوياً وراكناً۔

فقد أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه قال لما نزلت "وَ اَنْذِرْ عَشِيْرَتَكَ الْاَقْرَبِيْنَ"(٢)۔ صعد النبي ﷺ على الصفا، فجعل ينادي: يا بني فهر! يا بني عدي! لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقيّ؟ قال: نعم ما جربنا عليک إلا صدقاً۔ قال: فإني

نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال: أبو لهب تبأّلک سائر اليوم ألهذا جمعتنا فنزلت: " تَبَّتْ يَدَاۤ اَبِیْ لَهَبٍ وَّ تَبَّ۔ مَاۤ اَغْنٰی عَنْهُ مَالُهٗ وَ مَا كَسَبَ "(۳)۔

الوقفات الإعلامية في هذا الخطاب:

- عمد النبيﷺ إلى الصفا للشروع في خطبته وذلک لمناسبة الحال ولوضوح الصوت والصورة لسائر المجتمعين حوله۔
- التركيز على العصبية القبلية(يا بني فهر۔۔۔) لبطون قريش ولم يعمم الخطاب: يا أيها الناس مثلاً۔
- الحملة الدعائية الصادقة لشخصه الكريم ﷺ، عندما قال: أكنتم مصدقي؟؟ قالوا: نعم!!! ما جربنا عليک إلا صدقاً۔۔۔ وهذا إقرار منهم بصدقه فهو أقوى من الشعارات البراقة التي يستخدمها أصحاب كل حملة انتخابية فهذا إقرار وذاک ادّعاء۔

روى عبدالله بن ذكوان عن ربيعة بن عباد الديلمي قال: "رأيت رسول الله ﷺ بَصَرَ عيني بسوق ذي المجاز يقول: يا أيها الناس! قولوا: لا إله إلا الله، تفلحوا، ويدخل في فجاجها، والناس متقصفون عليه، فما رأيت أحداً يقول شيئًا، وهو لا يسكت يقول: أيها الناس! قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا، إلا أنّ وراء ة رجلاً أحول، وضيء الوجه، ذا غديرتين، يقول: إنه صابيء كاذب، فقلت: من هذا؟ قالوا: محمد بن عبدالله، وهو يذكر النّبوّة، قلت: من هذا الذي يكذّبه؟ قالوا: عمه أبو لهب، قلت: إنک كنت يومئذ صغيراً؟ قال: لا، والله إني يومئذ لأعقل"(۴)۔

وعن طارق بن عبدالله المحاربى رضي الله عنه قال: "رأيت رسول الله ﷺ مرّتين، رأيته بسوق ذي المجاز، وأنا في بياعة لي، فمرّ وعليه حلة حمراء، وهو ينادي بأعلى صوته: أيها الناس، قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا، ورجل يتبعه بالحجارة، وقد أدمى كعبيه وعرقوبيه، وهو يقول: يا أيها الناس، لا تطيعوا هذا فإنه كذّاب، فقلت: من هذا؟ فقيل: هذا غلام من بني عبدالمطلب، فقلت: من هذا الذي يرميه بالحجارة، فقيل: عمه عبدالعزى، أبو لهب"(۵)۔

وعن شيخ من بني مالک بن كنانة قال: "رأيت النبي ﷺ بسوق ذي المجاز يتخللها يقول: أيها الناس، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا قال: وأبو جهل يحثي عليه التراب، ويقول: أيها الناس، لا يغرّنّكم هذا عن دينكم، فإنما يريد لتتركوا آلهتكم، وتتركوا اللات والعزى، قال: وما يلتفت إليه رسول الله ﷺ"(۶)۔

عن سالم بن أبي الجعد عن جابر قال: "كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على الناس في الموقف، فقال: ألا رجل يحملني إلى قومه؟ فإن قريشاً قد منعوني أن أبلّغ كلام ربي"(۷)۔

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: (والمقصود أن رسول الله ﷺ استمرّ يدعو إلى الله تعالى ليلاً ونهاراً، وسراً وجهاراً، لا يصرفه عن ذلک صارف ولا يرده عن ذلک رادّ، ولا يصدّه عن ذلک صادّ، يتبع الناس في أنديتهم، ومجامعهم ومحافلهم وفي المواسم، ومواقف الحجّ يدعو من لقيه من حرّ وعبد وضعيف وقويّ، وغنيّ وفقير، جميع الخلق عنده في ذلک شرع سواء۔۔۔)(۸)۔ وكان أتباع رسول الله ﷺ نزّاعاً من القبائل وكانوا غرباء، لا قبيلة تحميهم، وكان رسول الله ﷺ يرتاد للدعوة موطناً تحتمي به، وكان يأمر من اتّبعه من القبائل خارج مكة أن يبقوا في قبائلهم ويستخفوا حتى يظهر۔

الجهر بالقرآن الكريم على مسامع قريش:

روى أنه لما نزلت سورة (الرحمن علم القرآن) قال عليه السلام: لأصحابه من يقرؤها منكم على رؤساء قريش، فتثاقلوا مخافة أذيتهم، فقام ابن مسعود وقال: أنا يا رسول الله، فأجلسه عليه السلام، ثم قال: من يقرؤها عليهم فلم يقم إلا ابن مسعود، ثم ثالثاً كذلک إلى

أن أذن له، وكان عليه السلام يبقى عليه لما كان يعلم من ضعفه وصغر جثته، ثم إنه وصل إليهم فرآهم مجتمعين حول الكعبة، فافتتح قراء ة السورة، فقام أبوجهل فلطمه فشق أذنه وأدماه، فانصرف وعيناه تدمع، فلما رآه النبيﷺ رق قلبه وأطرق رأسه مغموما(٩)۔

لما يئس النبي ﷺ من إيمان أهل مكة عمد لنشر الدعوة بطرق جديدة، فاختار لذلك عرض الدعوة على القبائل في موسم الحج، ولما أن هيأ الله تعالى له الأنصار من الأوس والخزرج فقبلوا الدعوة وآمنوا به بدأ النبيﷺ تحركه الدعوي والسياسي والإعلامي معهم في موسم الحج، وكانت الاجتماعات بينه وبينهم تعقد سراً، وهذا ما تقوم به جميع حركات الإصلاح في العالم حيث تبدأ نشاطها سراً للتوعيةو والتحذير من وضع راهن أن مستقبل مخيف، وخاصة إذا لم تكن في موضع القوة والغلبة كما كان حال رسول الله ﷺ۔

وما أن تأكد من قوّة أتباعه حتى اتجه نحو الاتصاف الجماعي بمجموعات أكبر في دار الأرقم بن أبي الأرقم۔ والتي عبرها ذاع صيت الرسالة المحمدية، حتى تطرّق النبي ﷺ للإعلام المكتوب وذلك من خلال تدوين الرسائل بغية إيصالها لأمراء كافة الأمصار تكن هذه (الوسيلة) الوحيدة في ممارسة العملية الإعلامية، بل تعددت الوسائل وكان من أهمّها (الخطبة، الدواوين، والخواطر، والشعر حيث تولى شعراء الدعوة الإسلامية في صدر الإسلام هذه المهمة وبالأخص شاعر الرسول ﷺ حسان بن ثابت رضي الله عنه۔

حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع قال أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف أنه (سمع حسان بن ثابت الأنصاري يستشهد أبا هريرة أنشدك الله هل سمعت النبي ﷺ يقول يا حسان أجب عن رسول الله ﷺ اللهم أيده بروح القدس قال أبو هريرة نعم)(١٠)۔

السفراء ومهمة الإعلام والتعليم:

إن من رحمة الله تبارك وتعالى بخلقه أن جعلهم شعوباً وقبائل ليتعارفوا، وجعل أكرمهم عنده أتقاهم؛ كما قال سبحانه: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيْمٌ خَبِيْرٌ }(١١)۔

بل لم يكتف النبي ﷺ بإيمان أصحاب العقبتين قبل الهجرة إلى المدينة، بل أراد أن يطمئن على نشر الدعوة وتهيئة الأجواء لرسوخ الدين وملاء مة الحال للهجرة، فأرسل مصعب بن عمير رضي الله عنه إلى المدينة مع من أسلم من أهلها، سفيراً يبلغ الدعوة وينشر رسالة الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، كما طبّق(الاستراتيجية العاطفية) للوصول إلى القلوب والمشاعر، بينما نفّذ (استراتيجية الحجج والبراهين) للتأثير على العقل وتيسير (العملية الإقناعية)، علاوة على ذلك فقد استخدم ﷺ(إستراتيجية الإعلام والإخبار) فضلاً عن استخدامه (إستراتيجية الصورة الذهنية) التي سعى من خلالها إلى خلق إيحاء إيجابي وتخيّل حقيقي لوصف واقع الآخرة وجزاء المسلم فيها۔ كما اتخذ السفراء في مهمات إعلامية وتعليمية حيث أرسل مصعب بن عمير رضي الله عنه إلى المدينة مع من أسلم من أهلها، سفيراً يبلغ الدعوة وينشر رسالة الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة۔ وذلك قبل أن تعرف الدنيا والعلاقات الدولية هذا التمثيل الدبلوماسي الفريد۔ والمتأمل لمهمة مصعب رضي الله عنه يستخلص منها هذه الفوائد:

١۔ الاطمئنان والتأكد من عهود أهل المدينة المنورة التي سيهاجر النبي ﷺ وأصحابه إليها۔

٢۔ نشر رسالة الإسلام وبيان تعاليمه۔

إبلاغ رسول الله ﷺ بمستجدات وأحوال أهل المدينة۔ فكان مصعب بحث سفير دولة الإسلام الأولى والمفوض العام لتنسيق وإدارة شئونها رضي الله عنه وأرضاه۔ وذلك قبل أن تعرف الدنيا والعلاقات الدولية هذا التمثيل الدبلوماسي الفريد الذي استخدمه النبيﷺ لنشر رسالة الإسلام۔

ولا نستبعد أن يكون بعث مصعب بن عمير رضي الله عنه إلى المدينة، يقصد منه أيضاً دراسة مجتمع المدينة، والتعرف عليها عن كتب، ودراسة المنطقة دراسة دعوية تركز على التعرف على الأصدقاء والأعداء، وعوامل التأثير في كل منهما، وأنجح الأساليب التي ينبغي أن يركز عليها في هذه المدينة، حتى تكون هجرة الرسول، ﷺ، بعد ذلك عن علم ومعرفة، للمجتمع الذي يستنقل إليه متى جاء ت ساعة الهجرة المنتظرة(١٢)۔

فعلمهم وسائط التعرف ووسائل الاتصال، وأحكم العلاقات التي تمهد للتواصل بين الشعوب، وأقام لها الأسس والقوانين التي تحقن بينهم العداوة المطلقة، وتقلل فيهم الظلم والاعتداء، والذي من ثماره: رفع المستوى العلمي، والتبادل الثقافي بين تلك الشعوب والدول۔

لقد وضع الإسلام لهذا النوع من التواصل الأممي الراقي في العلاقلات الدولية الأسس والقوانين التي تضبط البلاد والعباد من الحيف مع مراعاة أعراف الشعوب وعاداتها، فكانت هذه التعاليم الربانية إشراقية للأرض ومنقذة للبشرية من غيّها وظلمها لبعضها، فباتت تعاليم الإسلام۔ وأحكامه نبراساً تستضيء بها الأمم التي تطلب العدل والدعة لأبنائها، خاصة تلك الحضارات التي هدمت كل الأعر اف والقوانين بسبب ضعفها تارة، وظلمها وتسلطها على غيرها أخرى، فما أن يستفيق الناس من هلع الظلم والانكسار إلا ويجدوا تعاليم الإسلام التي تكفل الله بحفظها أكبر عون في إعادة صيغ نظمهم التي تعيد لهم الحياة الحقيقة المستقرة والقدرة على التواصل مع الغير۔

ومن جملة تلك العلاقات التي نظمها الإسلام بخطابه العالمي وتواصله الأممي مع سائر البشر على وجه المعمورة: هي الرسل والسفراء والوفود، وذلك لأنه دين عالمي يخاطب جميع البشر، ويتواصل مع كل الأمم، وسوف أجمع تلك الألفاظ تحت عنوان واحد: (والسفير والسفارة) لما تشتمل عليه الكلمات المرادفة من معنى مشترک۔

أ۔ الخطاب الدعوي الإعلامي المعتمد على العاطفة والعصبية القبلية:

إن أي خطيب إعلامي أو سياسي يرتكز لنشر أي فكرة أو أي خبر على قوة البيان الإعلامي عنده۔۔۔ ورسول الله قد تخير أفضل السبل وأقوى الأساليب المرحلة إعلان الجهر بالدعوة، كما وشح إعلانه بالخطاب العاطفي والعصبية القبلية مع الحملة الدعائية الصادقة لشخصه الكريم ﷺ۔ معهم بواسطة الرسل والسفراء ويظهر ذلک:

١۔ إرسال النبي ﷺ الرسل والسفراء إلى الملوک والأمراء۔

أ: روى البخاري عن عبدالله بن عباس أخبره: أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش، وكانوا تجارا بالشام في المدة التي كان رسول الله ﷺ مادّ فيها أبا سفيان وكفار قريش۔۔۔ ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به دحية إلى عظيم بصرى فدفعه إلى هرقل فقرأه، فإذا فيه "بسم الله الرحمن الرّحيم، من محمد عبدالله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوک بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتک الله أجرک مرتين، فإن توليت فإن عليک إثم الأريسيين {فل يا أهل الكتابِ تعالوا إلى كلمةٍ سواء بيننا وبينكم ألاّ نعبد إلاّ الله ولا نشرک به شيئًا ولا يتّخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولّوا فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون"(١٣)۔

قال الحافظ ابن حجر (رحمه الله): من محمد بن عبدالله ورسوله قوله: فيه إشارة إلى أن رسل الله وإن كانوا أكرم الخلق على الله فهم مع ذلک مقرون بأنهم عبيد الله، وكأن فيه إشارة إلى بطلان ما تدعيه النصارى في عيسى عليه السلام۔

وذكر المدائني أن القارىء لما قرأ: من محمد رسول الله إلى عظيم الروم غضب آخو هرقل واجتذب الكتاب۔

فقال له هرقل: مالک؟

فقال: بدأ بنفسه وسماك صاحب الروم!

فقال هرقل: إنك لضعيف الرأي أتريد أن أرمى بكتاب قبل أن أعلم ما فيه، لئن كان رسول الله إنه لأحق أن يبدأ بنفسه، ولقد صدق أنا صاحب الروم، والله مالكى ومالكهم(١٤)۔

ب: وروى البخاري عن عبدالله بن عباس أخبره: أن رسول الله ﷺ بعث بكتابه رجلاً، وأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى، فلما قرأه مزقه۔ فحسبت أن ابن المسيب قال: فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يمزقوا كل ممزق(١٥)۔

ث: روى الإمام مسلم عن أنس: أن نبي الله ﷺ كتب إلى كسرى، وإلى قيصر، وإلى النجاشي، وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى، وليس بالنجاشي الذي صلى عليه النبي ﷺ)(١٦)۔

ج: وروى ابن حبان من حديث أنس: أن رسول الله ﷺ كتب إلى كسرىٰ وقيصر وأكيدر دومة يدعوهم إلى الله تعالى(١٧)۔

د: روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن قال: "إنك تقدم على قوم أهل كتاب؛ فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله، فإذا عرفوا الله؛ فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا فعلوا فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاة من أموالهم وترد على فقرائهم، فإذا أطاعوا بها فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس"(١٨)۔

استقبال النبي ﷺ للرسل والسفراء:

أ: روى أبو داود أبا رافع قال: يعثتني قريش إلى رسول الله ﷺ، فلما رأيت رسول الله ﷺ ألقي في قلبي الإسلام، فقلت: يا رسول الله إني والله لا أرجع إليهم أبدا فقال رسول الله ﷺ:

إني لا أخيس بالعهد، ولا أحبس البرد) البرد: جمع بريد وهو الرسول۔ تنظر مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح- (بضم الباء- ولكن ارجع فإن كان في نفسك الذي في نفسك الآن فارجع)۔

قال: فذهبت ثم أتيت النبي ﷺ فأسلمت۔

قال بكير: وأخبرني أن أبا رافع كان قبطياً(١٩)۔

ب: روى الإمام أحمد من حديث أبي وائل قال قال عبدالله: حيث قتل ابن النواحة أن هذا وابن آثال كانا أتيا النبي ﷺ رسولين لمسيلمة الكذاب۔

فقال لهما رسول الله ﷺ: "أتشهدان أني رسول الله"؟

قالا: نشهد أن مسيلمة رسول الله۔

قالا: لو كنت قاتلا رسولا لضربت أعناقكما۔

قال: فجرت سنة أن لا يقتل الرسول(٢٠)۔

تبادل النبي ﷺ الهدايا مع الملوك بواسطة السفراء:

وقد تواصل النبي ﷺ مع عموم الملوك والأمراء، ورؤساء القبائل، وخاطب كل زعيم منهم على ما يقتضيه الحال، فأظهر في مراسلاته الرحمة بهم ومسارعته في جواب من واصله رغبة منه فى استمالتهم إلى دين الحق، وهذا يظهر بقوله وفعله ﷺ، ولا أدل على ذلك أنه ما

أن تواصل معه ملك أيلة وأهدى للنبي ﷺ هدية حتى سارع النبي ﷺ بقبول هديته والكتابة إليه روى الإمام البخاري عن أبي حميد الساعدي قال: غزونا مع النبي ﷺ غزوة تبوك،--- وأهدى ملك أيلة للنبي ﷺ بغلة بيضاء وكساه برداً وكتب له ببحرهم"(٢١).

١- **وسيلة المسجد وخطبة الجمعة:**

فالمساجد أهم وسيلة، وأسلم مكان، وأفضل بقعة ينطلق منها العلماء وطلاب العلم لتوجيه الناس، وتعليمهم وتفقيههم وحلّ مشكلاتهم، ولذا كان المسجد منذ عهد رسول الله ﷺ والقرون الفاضلة هو المكان الذي يصدر عنه كل أمر ذي بال يهم المسلمين في دينهم ودنياهم. وكان العلماء والولاة هم الذين يتصدرون الأمة من خلال المسجد.

وخلاصة القول: فإن أهم الأمور التي يمكن أن يقوم بها العلماء والدعاة ويؤدونها للمجتمع والأمة من خلال المسجد ما يلي:

١- الإمامة وما يتبعها ويلحق بها. ٢- الخطابة في الجمعة والأعياد ونحوها.

٣- الفتاوى. ٤- الدروس والخلق.

٥- المحاضرات والندوات. ٦- اللمات والتوجيهات والمواعظ.

٧- سائر أعمال الحسبة الأخرى التي يمكن أن تتحقق من خلال المسجد حسب نظر المشايخ(٢٢).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله تعالى: "وكانت مواضع الأئمة ومجامع الأمة في المساجد، فإن النبي ﷺ أسس مسجده على التقوى، ففيه الصلاة والقراء ة والذكر وتأمير الأمراء وتعريف العرفاء، وفيه يجتمع المسلمون عنده{ لما أممهم من أمر دينهم ودنياهم"(٢٣).

"والمسجد في الإسلام، وكما كان في عهد النبي ﷺ ليس مكان إقامة الصلاة فحسب، بل كان منطلق أنشطة كثيرة، فكان النبي ﷺ يعقد فيه الاجتماعات، ويستقبل فيه الوقود، ويقيم فيه حلق الذكر والعلم والإعلام، ومنطلق الدعوة والبعوث، ويبرم فيه كل أمر ذي بال في السلم والحرب. وأول عمل ذي بال بدأه النبي ﷺ حين قدم المدينة مهاجرا أن شرع في بناء المسجد، وكان النبي ﷺ إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد، كما ورد في الصحيح(٢٤).

وكان ﷺ إذا أراد أن يخطب أمر رجلاً أن يجمع له الناس ليستمعوا له. فقد قال لعمر رضي الله عنه ذات مرة: اجمع لي قريضاً. فعن الفضل بن عباس رضي الله عنهما قال: جاء ني رسول الله ﷺ فقال: خذ بيدي وقد عصب رأسه، فأخذت بيده، فأقبل حتى جلس على المنبر فقال: ناد في الناس. فصحت فيهم فاجتمعوا له. كما كان يأمر بعض أصحابه أن يعبر عنه أي يردد قوله بصوت عال. فعن هلال بن عامر عن أبيه قال: رأيت رسول الله ﷺ بمنى على بغلته وعليه برد أحمر وعليّ أمامه يعبر عنه ما يقول. وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما وقف رسول الله ﷺ بعرفة أمر ربيع بن أمية بن خلف فقام تحت يدي الناقة وكان رجلاً صيتاً فقال: اصرخ أيها الناس أتدرون أي شهر هذا؟ فصرخ، فقال الناس: الشهر الحرام--- إلى آخر الحديث(٢٥). وهكذا تؤكد الدراسات الإعلامية الحديثة فاعلية الاتصال الخطابي الذي استخدمه الرسول ﷺ في تبليغ رسالات ربه، واستخدمته الحضارة الإسلامية في الإعلام، ومع ذلك فالوسيلة تحتاج إلى مقوم العلم من المنبر إلى أحدث وسائل الاتصال، إذ لا بد للقائم بالاتصال من معرفة خصائصها، حتى يستخدمها بفاعليتها كما استخدم الرسول ﷺ وسيلة الاتصال الخطابي بفاعلية الأساليب الفنية والمداخل النفسية للجمهور المتلقي تحتاج أيضا إلى العلم، وقد أثبت التحليل الإعلامي لخطب الرسول ﷺ ومراعاته الأسس الفنية لصياغة الرسالة أو الخطبة في شكل بليغ مقنع، مراعيا فيه نفسية الإنسان العربي، فجمعت الخطب بين فصاحة اللفظ وجودة المعنى وحسن الأداء، وبلغت من ابلالغة ذروتها ووصلت من

الروعة إلى القمة؛ إنها من جوامع كلمه ﷺ، فيها أخذ من القرآن أو وحي إليه من الرحمن: قال الجاحظ(٢٦) في وصف كلامه ﷺ: وهو الكلام الذي قل عدد حروفه، وكثر عدد معانيه، وحل عن الصنعة، ونزه عن التكليف، وكان كما قال الله تبارك وتعالى:(وما أنا من المتكلفين)(٢٧)۔

ولقد كشف التحليل الإعلامي لخطب النبي ﷺ أن من أهم دلالات هذه الخطب استخدام الرسول ﷺ لأسلوب الحوار والإقناع المشترك في خطبة الصفا، يقول ﷺ: "أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تعير عليكم أكنتم مصدقي؟" واستخدم الرسول ﷺ هذا الأسلوب في خطبة غزوة بدر وفي فتح مكة وفي حجة الوداع، والجدير بالذكر أن هذا الأسلوب قد جاء في كتاب الله تعالى مشتملا على أنواع الحوار المختلفة، والذي يهمنا في هذا المقام هو الجوار المفتوح الذي يفجر خفايا الطاقات العقلية والإبداعية ويحقق التوازن والاتفاق والتألف والانسجام بين أفراد المجتمع، فالجوار المفتوح تسمى فيه الأشياء بأسمائها، وتقال الحقيقة كاملة وتورد حجج الفريقين، لقد تعلم الرسول ﷺ هذا الأسلوب من القرآن الكريم وطبقه بفاعلية في حركة البلاغ المبين بالدعوة الإسلامية لبث الحقائق والمعلومات والآراء بين الناس، وهذا هو جوهر الإعلام(٢٨)۔

فقد كان النبيﷺ يوجه خطابه الدعوي والتربوي للأمة من خلالهما۔۔۔ حيث هما السبيل القويم لنشر الدعوة وتبليغ الرسالة۔ وهما أول وسيلتين استخدمهما النبيﷺ في هذا العهد الجديد، بل وقبل أن يدخل المدينة إذ كانت أول خطبة جمعة له۔ في قباء بناء مسجدها۔ وبذلك ينتقل إلى أسلوب الخطاب الجماعي واللقاء ات العامة۔ وكان إذا أراد أن يخطب أمر رجلاً أن يجمع له الناس ليستمعوا له۔ فقد قال لعمر رضي الله عنه ذات مرة: اجمع لي قريشاً۔ فعن الفضل بن عباس رضي الله عنهما قال جاء ني رسول الله ﷺ فقال: خذ بيدي وقد عصب رأسه، فأخذت بيده، فأقبل حتى جلس على المنبر فقال: ناد في الناس۔ فصحت فيهم فاجتمعوا له۔

كما كان يأمر بعض أصحابه أن يعبر عنه أي يردد قوله بصوت عال۔ فعن هلال بن عامر عن أبيه قال: رأيت رسول الله ﷺ بمنى على بغلته وعليه برد أحمر وعليّ أمامه يعبر عنه ما يقول۔ وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما وقف رسول الله ﷺ بعرفة أمر ربيع بن أمية بن خلف فقال تحت يدي الناقة وكان رجلاً صيتاً فقال: اصرخ ليها الناس أتدرون أي شهر هذا؟ فصرخ، فقال الناس: الشهر الحرام۔۔۔ إلى آخر الحديث۔ وتابع النبي ﷺ إرسال السفراء بعد الهجرة إلى أطراف العالم وقد تعددت الجهات التي أرسل ﷺ رسله إليها حتى شملت جميع الممالك المحيطة بجزيرة العرب فبعثت دحية بن خليفة الكلبي بكتابه وأمره أن يدفعه إلى عظيم بصري، فدفعه عظيم بصرى إلى هرقل ليدفعه إلى قيصر، وبعث عبدالله بن حذافة السهمي إلى كسرى ملك فارس، وبعث عبدالله بن عمرو بن أمية إلى النجاشي ملك الحبشة وبعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس ملك الاسكندرية، وبعث سليط بن عمرو إلى ثمامة بن أثال، وبعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين، وبعث شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر الغساني، وبعث المهاجر بن أمية المخزومي إلى الحارث ملك اليمن۔

الخاتمة:

من خلال هذا العرض لنماذج أو مشاهد من الإعلام النبوي نجد أنه ﷺ لم يترك وسيلة لتوصيل الدعوة ورسالة الإسلام إلا وسارع بها۔ إن المسلمين والأمة بأسرها اليوم مخاطبة لإيجاد إعلام إسلامي شامل، بل هي بأمس الحاجة إلى ذلك حيث أصبحت تغزي به وهي في عقر دارها، فهي بحاجة إلى إعلام إسلامي متخصص لكل فروع وعلوم الشريعة، لكني ينفي عنها ما يلصق بها من تهم، ويرد الشبه التي ربما علقت بها في قلوب أو عقول البع۔ وما يوجد على الساحة الإعلامية الإسلامية اليوم ما هو إلا إعلام تربوي أو ربما ترفيه إسلامي۔ ولا ننسى أننا مطالبون بتبليغ والرسالة، وهذه المطالبة في نص حدث رسول الله: (بلغوا عنى ولا آية) وإن الأمة الإسلامية أمة دعوة وأمة بلاغ وأمة إعلام لمنهج السماء۔

المراجع والحواشي:

١۔ القصص ٢٨: ٥١

٢۔ الشعراء ٢٦: ٢١٤

٣۔ البخاری، محمد بن اسماعیل، الجامع الصحیح، (بیروت: دار ابن کثیر، ١٤٠٨ھ)، الطبعة الثالثة، کتاب تفسیر القرآن، باب وأنذر عشیرتک الأقربین واخفض جناحک، ألن جانبک، رقم: ٤٧٧٠

٤۔ احمد بن حنبل، المسند، تحقیق: أحمد محمد شاکر، (القاهرة، دار الحدیث، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥)، الطبعة الأولی، مسند المکیین، حدیث ربیعة بن عباد الدیلی، رقم: ١٥٤٤٨؛ الألباني، إرواء الغلیل، (بیروت: المکتب الاسلامی، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩)، صححه برقم: ٨٣

٥۔ ابن أبي شیبة، المسند، تحقیق: عادل عزازي، وأحمد فرید المزیدي، (الریاض: دار الوطن، 1998)، طارق بن عبدالله المحاربی، رقم: ٨٢٥ ؛ الدارقطنی، السنن، حققه وصححه شعیب أرناؤوط، رقم: ٢٩٧٦

٦۔ أحمد بن حنبل، المسند، رقم: ٣٤٦٢، ٤٣٤١، ٣٤٢؛ البیهقي، دلائل النبوة، رقم: ٢١٨٢

٧۔ ابن أبی شیبة، المصنف، رقم: ٣٠٠١٤؛ ابن خزیمة، الصحیح، رقم: ٨١٢؛ الحاکم، المستدرک علی الصحیحین، رقم: ٢٦١٢

٨۔ ابن کثیر، البدایة والنهایة، ٣٤٠/١

٩۔ رازی، فخرالدین محمد، مفاتیح الغیب، عند تفسیر قوله تعالی: لنسفعن بالناصیة، ح٣٢، ص٢٣۔

١٠۔ العسقلانی، ابن حجر، فتح الباري، (بیروت: دارالمعرفة، ١٣٧٩)، باب الشعر في المسجد، ٢٢٠/٨

١١۔ الحجرات ٤٩: ١٣۔

١٢۔ الحربی، علی جابر، منهج الدعوة النبویة في المرحلة المکیة، (المکة المکرمة: جامعة ام القریٰ، ١٤٠١هـ۔١٩٨١)، ص٤٢٤

١٣۔ البخاری، الجامع الصحیح، رقم: ٧، ٢٩٤١

١٤۔ العسقلانی، فتح الباري، ٢٢٠/٨

١٥۔ البخاري، الجامع الصحیح، ٧٢٦٤

١٦۔ القشیری، مسلم بن حجاج، الجامع الصحیح، تحقیق: محمد فؤاد عبدالباق، (بیروت: دار احیاء التراث العربی، ١٦٥٧)، رقم: ١٧٧٤

١٧۔ ابن حبان، الصحیح، تحقیق: شعیب الأرنوط، (بیروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٤ھ)، الطبعة الثالثة، رقم: ٦٥٥٣

١٨۔ البخاری، الجامع الصحیح، کتاب الزکاة، باب لا تؤخذ کرائم أموال الناس في الصدقة، رقم: ١٤٥٨

١٩۔ قال أبو داود: هذا کان في ذلک الزمان فأما الیوم فلا یصلح۔ أبو داود، السنن، تحقیق: محمد محی الدین، (بیروت: دارالفکر)، رقم: ٢٧٥٨

٢٠۔ أحمد بن حنبل، المسند، رقم: ٣٧٠٨؛ الدارمي، السنن، تحقیق: فواز العلمی، (بیروت: دارالکتب العلمیة، ١٤٠٧ھ)، الطبعة الاولیٰ، ٣٠٧/٢

٢١۔ البخاري، الجامع الصحیح، رقم: ٢٨٧٣

٢٢۔ العقل، ناصر بن عبدالکریم، أثر العلماء في تحقیق رسالة المسجد، (السعودیة العربیة: وزارة الشئون الإسلامیة والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤١٨ھ)، الطبعة الاولی، ٢١٢/١

٢٣۔ ابن تیمیة، مجموع الفتاویٰ، ١٩٦/٩

٢٤۔ البخاري، الجامع الصحیح، رقم: ٤٠٦٦؛ مسلم، الجامع الصحیح، رقم: ٤٩٧٣

٢٥۔ ہیثمی، نور الدین علی، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، رقم: ١٠٦٢

٢٦۔ محمد أبو ز هرة، الخطابة أصولها وتاریخها(القاهرة: دار الفکر العربي، ١٩٨٠)، ص:٢٦٢

٢٧۔ صٓ ٣٨: ٨٦

٢٨۔ ثابت، سعید بن علی، الجوانب الإعلامیة في خطب الرسول ﷺ، (السعودیة العربیة: وزارة الشئون الإسلامیة والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤١٧ھ)، الطبعة الاولی، ص: ١٣، ٣٣، ٥٦، ٥٨، ٨٦۔٨٥

٢٩۔ د۔ إبراهیم إمام، الإعلام الإسلامي في المرحلة الشفهیة، (القاهرة: الأنجلو المصریة، ١٩٨٠م)، ص٢٨؛ سید محمد الساداتي، وظیفة الإخبار في سورة الأنعام (رسالة دکتوراه مقدمة إلی کلیة الدعوة والإعلام عام ١٤٠٦ھ)، ص٨٧